

وواضح أن ابن سودون كتب هذا الخطاب باللغة الدارجة لعصره، وهي لا تختلف كثيراً عن لغتنا الدارجة الآن. وقد جاء فيه بلازمة معروفة لأهل الصعيد إذ أبدل الهاء في لسه "عينا" فقال لسع، وأيضاً فنحن نجد فيه بعض لوازم أهل الشام ككلمة "من هون"، وكأثما كان المصريون في عصر ابن سودون مثلنا الآن يضحكون من بعض اللوازم في هجة إخواننا أهل الشام، ومن أجل ذلك يستظهر ابن سودون هذه اللوازم في بعض هزله. ولكن ليس هذا هو ما يضحكنا في ديوان ابن سودون ولا في هذا الكتاب الذي أرسله فنين إلى أبيه، إنما يضحكنا ما يعمد إليه من تبالة، وها هو ذا يحاول بكل ما يستطيع أن يحمل صاحبه مثلاً أعلى للبله والمغفلين؛ فقد بدأ كتابه بهذا العنوان: "يصل - إن شاء الله - إلى درينا الخروس الذي ضَبُّو سنط ولقية"؛ وهذا هو كل ما استطاع فنين أن يجعله عنواناً لكتابه، فقد عرف بالدرب الذي أرسله إليه، وهو درب ضبة بابه سنط ولقية، ونستمر في قراءة الخطاب، فإذا هو يستشكل على أبيه، إذ أرسل يطلب منه حبل غسيل، وقد اكتفى بأن يذكر له طوله، ولم يذكر له عرضه وكذلك أرسل في طلب كشك، ولم يقل له كيف يرسله، وهل يرسله مطبوخاً أو غير مطبوخ، وأيضاً فإنه سأله بعض قائل، وكأنه لا يعرف أن الفلاحين لا يزرعون قلالاً، وإنما يزرعون قرعاً طويلاً. وهذه كلها استشكالات تفسر تفسيراً واضحاً عقل فنين وما يسمه من بله وغفلة، وهو يمضي على هذا المنوال فيحمد الله أن وقع ثوبه من فوق بعض السطوح ولم يكن فيه، وإنه ليسترسل في غفلته فإذا هو يتخذ من ذلك دليلاً على موت أبيه وأمه! ويستمر فيذكر أنه ارتجف بسبب حادثة ثوبه رجفة رمدت بسببها عينه، ويريد أن يقول اليمنى أو اليسرى فلا يسعفه بلهه، فيقول إنها العين التي تكون يازاء ناحية المشد حين خروجه من بيته، ولا نصل إلى هذا الموضوع من الكتاب حتى تستهويننا هذه الغفلة في فنين فنتابعه، وإذا هو يقص أنه دخل بستاناً ورأى فيه أشجاراً من أنواع شتى، وقد